اللغة العربية - الجذع المشترك علوم

درس النصوص 1-4 : النص الحجاجي (الفكر بين العصرية والمعاصرة «علال الفاسي»)

الأستاذ: حسن شدادي

الفهرس

I- النص
II- الرصيد المعرفي
III- الملاحظة
1-3/ الشكل الطباعي
2-3/ قراءة العنوان
3-3/ فرضية القراءة
IV- الفهم
1-4/ الفكرة العامة
2-4/ الوحدات الدلالية للنص
V- التحليل
1-5/ الحقول المعجمية
2-5/ السيرورة الحجاجية
3-5/ الخصائص اللغوية
4-5/ الخصائص المنهجية
VI- التركيب والتقويم

I- النص

الفكر بين العصرية والمعاصرة «علال الفاسي»

هذه ناحيةٌ من نواحي الضعف العقلي الذي غَمَرَ غالبية الناس في هذا الوقت، فقد انقسم المجتمعُ إلى فريقين: واحدٌ يرى أن كلَّ ما فعله القدماءُ أو فكروا فيه هو الصحيحُ الذي يجب أن يُشايَعَ، ولذلك فهو يفقد ثقتَه في كل ما لم تأت به الأوائلُ، أو لم يجده في تقاليد الوسط الذي نشأ فيه، وآخرون طغتْ عليهم رغبتُهم في الجِدَّةِ والابتكار، فأصبحوا يؤمنون بأن كلَّ ما نُقِلَ من الماضي يجب أن ينقرض وأن المثلَ الأعلى في الحياة هو فيما تَسْتَجِدُّهُ من أنواع الاختراع أو ما يُخَيَّلُ إليهم أنه اختراعٌ من مناهج العيش ومباهج الاستمتاع، وهكذا تكونتْ في الوسط فكرةُ المُحافَظَة التي يتسم بها كثيرٌ من الأفراد أو يحبون أن يُنْسَبوا إليها، وفكرةُ العصرية كغاية يريد الآخرون أن يعلموا بها أو يعرفوا...

والحقيقةُ أن عند الفريقين خطأ شنيعا في نقطة البداية للتفكير، ذلك أن المحافظةَ لا تعني أبدا ألا يفعل الإنسان إلا ما كان عتيقا باليا، كما أن العصريةَ لا تعني دائما أن يَنْبُذَ المرءُ كل ما لم يكن جديد الوضع أو حديث الابتكار.

إن الحياةَ حركةٌ، والحركةُ تقتضي أمرين أساسيين: المتابعةُ في السير، والانتقالُ من نقطة إلى أخرى، وكذلك هي الحقيقة، فإن الإنسانيةَ سائرةٌ دائما لا تَعْرِفُ الوقوفَ، ثم هي تنتقل من حالة إلى غيرها دون مبالاة بما يريده الناس أو يعتبرونه...

إن أساسَ الغلط عند الناس هو أنهم يخلطون بين العصرية وبين المعاصرة، أو بين ما هو عصري وبين ما هو معاصر، مع أن الثاني قد يكون مثالا حيا لما مَرَّ في الأزمنة الوسطى أو البدائية للتاريخ، كما أن الأولَ يمكن أن لا تجد له وجودا في العهد الذي نعيش فيه، بينما نعثر عليه في زوايا الفكر العتيق. ولعلنا إذا تجولنا قليلا في بلادنا نجد أمثلةً حية لهذا الادعاء، فبعضُ أنظمة الحياة عندنا ما تزال من طراز ألف ليلة وليلة، بينما نجد في بعض عصورنا الماضية أمثلةً من النظام ومن الحضارة لا تجدر إلا بالعصر الحديث في أرقى مظاهر تقدمه. إن البنك الخيري الذي كان عندنا بفاس مثلا هو ما لم تصل إليه أَحْدَثُ تنظيمات الإسعاف أو التعاون العصري على اختلاف أنواعه.

لا أريد من هذا إلا أن أُفَرِّقَ بين العصرية والمعاصرة، وأُثْبِتَ للذين يريدون الاقتباسَ من منتجات العهد الحديث أنه يجب أن ينظروا قبل كل شيء في الإنتاج الغربي، وأن يعلموا تماما أن كلَّ ما يُحَرِّمُ على الإنسان النظرَ والفكرَ أو يمنعُهُ من التمرد على ما لا يطمئن إليه فهو جمود وليس من العصرية في شيء، ولو كان مستمدا من آراء الفلاسفة والزعماء المعاصرين، إنه يجب أن نَنْفُذَ إلى أعماق الأشياء عِوَضاً عن أن نَغْتَرَّ بشكلياتها، ويجب ألا ننتقلَ من جمودٍ إلى آخرَ، ولا من تقليدٍ لمثله. إن المنهجَ العصريَّ الصحيحَ هو الذي يَفتح أمامنا آفاقَ التقدم بجميع أنواعه الفكري والاجتماعي والاقتصادي والروحي، لأن نتيجةَ المجهود كله هو الوصولُ لأن نتحكم في حركتنا ككائن حي، أي أن نوجِّه سيْرنا إلى الأمام دائما، وتَطَوُّرَنا إلى أعلى، وإنه لَمِنَ العجز والكسل أن نُقَصِّرَ في واجبنا، وأن نحاولَ اختصارَ الطريق بانتحال مذهب من المذاهب القائمة لا لشيء، إلا لأنها تُغنينا عن الفكر وعن البحث، إن ذلك أعظمُ مساسٍ بكرامتنا كأمَّة ذاتِ تاريخ عقلي وحضارة روحية...

ومما لا شك فيه أنَّ في الغرب قوةً عقليةً وروحيةً كبرى، لكني أتحدى من يزعم أن هذه القوة لم تَكُنْ من عصرية ما قبل الحرب الكبرى، كما أنني أتحدى الذين يُنكرون أن في الغرب اليومَ محاولة للرجوع إلى أصلية تَحُولُ بينهم وبين فوضى الفكر والعقيدة. وإذن، فمن الواجب ألا نَذْهَلَ نحن عن أصلنا الأساسي الذي هو الإيمانُ بالحرية، والاعتزازُ بالعقل ومقياسه الذي لا يَبْلى.

إن الفكرَ والنظرَ هما المصباحُ الذي يجب أن يكونَ معنا في سيرِنا وتوجيهنا، فيجب أن نَمْضِيَ قُدُماً مستنيرين بعقولنا لِندرسَ كل ما في الغرب، مقتبسين ما هو صالح لانبعاثنا ونافع للعصر الذي نعيش فيه وليس من شأنه أن يقف حَجَرَ عَثْرَةٍ في سبيل تَقَدُّمِنا الدائب المستمر، وفي كل الأحوال يجب ألا نبذلَ عقولنا وحقها في التفكير كثمن لأي سعادة مصطنعة أو روحية منتحَلة.

إن حياةً بغير حرية لهي الموتُ المحضُ. وإن وجوداً من غير فكر حُرٍّ لهو العدمُ وأن مَدَنِيَّةً لا تَقومُ على التحرر والتبصر لهي الوحشيةُ الأولى ولو كانت في أَحْدَثِ طِرازٍ.

علال الفاسي «النقد الذاتي»، مطبعة الرسالة
ط. 4 – الرباط 1979ـ ص. 94 وما بعدها (بتصرف)

II- الرصيد المعرفي

الحجاج من حاجَّ، يحاجُّ، محاججة، حجاجاً أي برهن بالحجة والدليل ليقنع الآخرين.

والنص الحجاجي نص يستند إلى ترسانة من الحجج والأدلة قصد إقناع مخاطبٍ بوجهة نظرٍ معينة، ويتّسم هذا النص بالتماسك المنطقي وقوة التأثير والإقناع.

III- الملاحظة

1-3/ الشكل الطباعي

كتب النص على خلفية بيضاء، يعتليها عنوان كتب بخط بارز.

2-3/ قراءة العنوان

العنوان عبارة عن جملة اِسمية توضح مأزق الفكر الواقع تحت مطرقة العصرية وسندان المعاصرة.

3-3/ فرضية القراءة

استنادا إلى الملاحظات السابقة، نفترض أننا بإزاء نص حجاجي يعالج إشكالية الفكر بين العصرية والمعاصرة.

IV- الفهم

1-4/ الفكرة العامة

إبراز الكاتب أن مسألة الفكر لا ترتبط بالماضي وحده أو الحاضر وإنما هي مسألة تنهل منهما معاً، فالفكر يستند إلى ماضيه ارتكازا ويتكئ على حاضره استشرافاً.

2-4/ الوحدات الدلالية للنص

- انقسام المجتمع إلى فريقين متناقضين: فريق المحافظة وفريق العصرية. وكلاهما على خطأ حسب رأي الكاتب.
- موقف الكاتب من التيارين الفكريين هو الرفض والتخطيء لأنهما يخلطان بين العصرية و المعاصرة.
- البديل الفكري الذي قدّمه الكاتب كردّ على التيارين هو النظر في ما هو جديد وقديم.
- أساس الانتفاع من الفكر هو الحرية والتحرر من ضغوط القديم والحديث.

V- التحليل

1-5/ الحقول المعجمية

حقل العصرية: الجدة، الابتكار، الاختراع، الانتقال، التطور.

حقل المحافظة: القدماء، عتيق، بالي، الأوائل، المحافظة، الماضي، ينقرض..

العلاقة الربطة بين الحقلين هي علاقة تضاد وتنافر..

2-5/ السيرورة الحجاجية

الأطروحة: كل ما يحول بين الإنسان والنظر والتفكير والتمرد يعد ضرباً من الجمود.

نقيض الأطروحة: إن لدى الفرقين خطأ شنيعا.

التركيب: إن الفكر والنظر هما المصباح.

3-5/ الخصائص اللغوية

وظف الكاتب لغة تقريرية واضحة الألفاظ والمعاني ومثقلة بترسانة حجاجية قوية، ولهذا التوظيف ما يبرره فرغبته في إقناع القارئ كانت هي الحافز على هذا التوظيف.

4-5/ الخصائص المنهجية

استخدم الكاتب منهجا استقرائيا انطلق بموجبه من طرح الموضوع طرحا خاصاً فأبرز التمايزات التي تعتري رؤى الفريقين المعاصر والمحافظ وانتقل بعد ذلك إلى تحديد الخلاصة العامة للموضوع.

VI- التركيب والتقويم